

النص التراثي العربي وعلاقته بالحدث في الرواية العربية المعاصرة، "وسيني الأعرج أنموذجا"
The Arabic heritage text and its relationship to modernity in the
contemporary Arabic novel "waciny laaredj as a model"

* وليد مباركي¹، مسعود ناهلية²

walid mobarki¹ Messaoud NAHILIA²

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية جامعة البليدة (الجزائر)¹

جامعة يحي فارس المدية (الجزائر)²

Yahia fares university of medea/ALGERIA

mobarki.walid@univ-medea.dz¹ / nahiliamessaoud@gmail.com²

تاريخ النشر: 2021/12/25

تاريخ القبول: 2021/08/12

تاريخ الإرسال: 2021/06/28

ملخص البحث

إنّ الحديث عن موضوع التراث يشكّل طرحاً ثرياً من حيث المضامين والتحليلات، فالنص التراثي أخذ حيزاً واسعاً من الاهتمام والدراسة والذي مثّل في حدّ ذاته موضوع بحث بالنسبة لمناهج الحدث، التي تتسم بالجدية والموضوعية، أثناء معالجتها للنص التراثي وتفعيلها للآليات النقدية والمنهجية ومدى ملائمتها. فثنائية التراث والحدث إذن هي بؤرة جدل تحتاج للعديد من القراءات والتأملات في إشارة لمدى أهمية ربط هاذين المصطلحين البعيدين من حيث المفهوم والقريبين من حيث الدلالة، والهدف من وراء التقائهما في طرح ومتم واحد، ما ينجم عنها انسجام وتناسق في بنية النص الأدبي المعاصر الذي هو في حاجة إلى بعث نفس جديد، من خلال توظيف الإرث التراثي الغني في قالب حدائث نابض بالحس النقدي والفكري أين يجد الدارس ضالته، في هذا الأنموذج سنتعرض لثنائية الحدث والتراث وما مدى توافق هذه التوليفة في الدرس النقدي العربي.

الكلمات المفتاحية: تراث، حدث، ما بعد الحدث، نص، رواية.

Abstract:

Talking about the heritage constitutes a rich proposition in terms of contents and manifestations. The text of heritage has taken a wide area of interest and study, which in itself represented a topic of research for modernity curricula, that is characterized by seriousness and objectivity, while addressing the text of heritage and activating critical and methodological mechanisms and their suitability. The duality of heritage and modernity, then, is a focus of controversy that requires many readings and reflections, in reference to the importance of linking these two terms that are far in concept and close in terms of significance, and the goal behind

* وليد مباركي mobarkiwa@gmail.com

their convergence in a single proposition and text, which results in harmony and consistency in the structure of the contemporary literary text that is in there is a need to resurrect a new soul, by employing the rich heritage in a modern form pulsing with a critical and intellectual sense, where the student finds his need. In this model, we will be exposed to the duality of modernity and heritage and the extent to which this combination is compatible in the Arabic critical lesson.

Keywords: heritage, modernity, postmodernity, text, novel.



مقدمة:

لقد تعمقت مناهج الدراسة الحديثة في دراسة العلاقة الوطيدة بين التراث والحداثة من عدّة جوانب، لكنّها لم تستطع الإحاطة بكلّ حيثيات هذه الثنائية لأنّها تأخذ أبعاداً مختلفة وتطرح إشكالات متعددة، فالنص التراثي شغل فكر الباحث والدارس العربي منذ نشأة الدراسات المتخصصة بهذا الحقل، فما ما يحمله النص التراثي من مزايا ينفرد بها جعلته يفتح على جملة من التأويلات والدلالات، وهذا يرجع لطبيعة التراث التي تتميّز بامتزاج الماضي مع الحاضر والواقع الراهن ليشكل لنا زخماً تاريخياً مشبعاً بالدلالات والقيم الجمالية والمعرفية التي تساهم بشكل كبير في إنتاج نص جديد من خلال ربط ما هو قسّم بما هو جديد.

وهنا، نلمح مظهرًا من مظاهر الحداثة التي تعمل على تحويل النصوص التراثية وفق مناهج وأسلوبية معينة تقتضي بالضرورة الوقوف عند بعض المخططات المهمة التي تحدد لنا طبيعة العلاقة بين الحداثة والنص التراثي العربي الذي يزخر بالعديد من الأشكال الفنية والأدبية المرتبطة بالاجتماع العربي وثقافته المتوارثة جيلا بعد جيل وسنحاول في بحثنا هذا إلى تسليط الضوء على أهم أنواع النصوص التراثية ومدى مواكبة المناهج الحديثة والمعاصرة لهذا الشكل الأدبي، وكيفية ضبط هذه التوليفة الثنائية وفق ما يتطلبه الوضع والمناسبة التي يرد فيها هذا النص، لأنّه من الصعوبة بمكان أن يعبر عن الجانب التثقيفي، أو التاريخي، ولا غنى للفكر العربي المعاصر عن هذا المكوّن الرئيسي، لأنّه يمثل جزءاً مهماً من الوجود، فمهما واكب الباحث أو الدارس المتخصص الأساليب، واجتهد لاستحداث مواضيع وطرق جديدة وطروحات تبين الجانب الجمالي والإبداعي له إلا أنّه من المستحيل تجاهل "النص التراثي" هذا الشكل الأدبي الذائع والمعروف على الساحة الأدبية عامة، بل ويأخذ حصة الأسد من نسبة الاهتمام. ومن هنا نطرح التساؤل الآتي:

كيف تبلور النص التراثي العربي وفق مناهج الحداثة؟ وهل تمكن من خلق فضاءات دلالية وأخرى تأويلية في النصوص الأدبية المختلفة؟ وما هي طبيعة العلاقة بين الحداثة والنص التراثي؟ وكيف تعاملت الرواية العربية الحديثة مع التراث كمسلك تجريبي؟

1. الحداثة: المفهوم والمصطلح

جاء في معجم لسان العرب "الحديث نقيض القدم، والحدوث نقيضه القدم، حدث الشيء يحدث حدوثاً وحداثةً، وأحدثه هو، فهو محدثٌ و حديثٌ، وكذلك استحدثته"¹.

وجاء أيضاً "وَحَدَّثَانُ الدهر وحوادثه: نوبه، وما يحدث منه، واحداها حادثٌ، وكذلك أحداها واحداها حدثٌ"². وجاء أيضاً "حدث الحديث: نقيض القدم. والحدوث نقيض القدمة"³.

أما في معجم الوسيط لمادة حَدَّثَ: "الحداث: يقال: حدثان الشباب و حدثان الأمر: أوله وابتدأه"⁴. وقد لاقت الحداثة كمصطلح جديد الكثير من الاهتمام من طرف الباحثين سواء عند الغرب باعتبارها الموطن الأصلي والأول لها، أو عند العرب التي مثلت نقطة تحول في شتى المجالات وهيأت جوا مناسباً للإبداع والخلق. فالحداثة من الجدة والتحول من حال إلى حال أفضل بتوفر الظروف المناسبة بالإضافة لمواكبة كل مظاهر التطور والتقدم في كل مجالات الحياة خاصة الثقافية منها.

أما عن اللغات الأجنبية، ففي قاموس le Rbert "بلزاك (balzac) هو أول من استعمل لفظة modernité وذلك سنة 1823م"⁵ والتي تحمل معنى "طابع الحداثة لما هو حديث(العصر الحديث أو العصور الخضراء بالثورة الصناعية مقابل ما بعد الحداثة)"⁶

من هنا يتضح لنا جلياً أنّ الحداثة هي أول الأمر وابتدأه، فهي نقيض القدم، إذ هي "حركة تجديدية في حقول الإنتاج والأفكار وأنماط الحياة و الحكم والفن خرجت على جمود سنوات العصور الوسطى الطويلة، وعليه فهي تلحق عمومًا الحقبة التي تلت الخروج من العصر الوسيط، أي منذ القرن السادس عشر"⁷

أما اصطلاحاً فعند النقاد العرب:

فنجدها عند أدونيس أنّها: "الحداثة رؤيا جديدة، وهي جوهرية رؤيا تساؤل واحتجاج: تساؤل حول الممكن، واحتجاج على السائد، فلحظة الحداثة هي لحظة التوتر، أي التناقض و التصادم بين البنى السائدة في المجتمع وما تتطلبه حركته العميقة التغييرية من البنى التي تستجيب لها وتتلاءم معها"⁸.

ويعرفها فتحي تريكي قائلاً بأنها: "مجموعة من العمليات التراكمية التي تطور المجتمع بتطوير اقتصاده، وأنماط حياته، وتفكيره وتعبيراته المتنوعة، معتمدة في ذلك على جدلية العودة و التجاوز، عودة إلى التراث بعقل نقدي متجذر، متجاوزة التقاليد المكبلة ومحركة الأنا من الانتمائية الدغمائية الضيقة، سواء كانت للشرق أم للغرب، للماضي أم الحاضر، لتجعل من الحضور آنية فاعلة، مبدعة في الذات و المجتمع"⁹. وتشترك كل هذه التعريفات في أنّ معنى الحادثة هو التحول من حال إلى آخر يشمل كلّ المجالات التي تختص بالحياة اليومية للفرد، أما في مجال الأدب فهي تلك القفزة النوعية في طريقة عرض وتلقي النصوص الأدبية ذات الأبعاد الفنية والدلالية.

2. ما بعد الحادثة:

إنّ المتأمل في لفظ ما بعد الحادثة، سيجد أنه يوحي إلى فكر زماني بعدي، فيدفعنا إلى استنباط علاقته مع الحادثة و التي تفرض التوالي، لتظهر ما بعد الحادثة في مجال النقد الأدبي على أنّها حركة معرفة جديدة، قامت على أنقاض حركة حداثية قبلية سميت بالبنوية لتتقلب إلى حركة نقدية أخرى سميت ما بعد البنوية، وهي ما تشترك مع ما بعد الحادثة موضوعاً ومفهوماً، فيوسف و غليسي -وهو يتحدث عن البنوية وما بعد البنوية- يتوقف عند قول (مادان ساروب) الذي يقول: "كان ذلك مطية لقيام حركة معرفية جديدة على أنقاضها، سميت (ما بعد البنوية post-structuralisme)، وقد تلبس ب(ما بعد الحادثة post modernisme) فتترادفان أمام مفهوم واحد، ويغدو التمييز بينهما أمراً من الصعوبة ما كان"¹⁰. فما بعد الحادثة إذًا هي "أقرب ما تكون على حركة فكرية تتعدد بداخلها الآراء وتتفرع إلى اتجاهات تتباين في المصدر والتوجه"¹¹.

أما عن بدايات فاعلية خطاب وثقافة ما بعد الحداثيّة والفكر المابعدي عموماً، نستطيع إعادته لرائد النقد والعدميّة "نيتشه" وبذلك فهو يمثل بدايات وجذر ما بعد الحادثة¹²، وقد تعددت المفاهيم التي تناولت هذا المصطلح واختلفت المضامين المعيرة عن مفهومه بدقة فهناك من ينظر الحادثة بوصفها مصطلحاً مرتبطاً بالزمنية وكذا التاريخ، كما أنّها تنحج إلى التعبير عن المظاهر الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما، بالإضافة إلى ارتباطها بالواقع المعاش وحركات التطور والكشف عمّا هو قيد البحث والتحري، فمصطلح ما بعد الحادثة اتخذ لنفسه اتجاهات مغايرة تتعدد فيه التأويلات وفيه تختلف الآراء وتتضارب.

يشيع في الدراسات المعاصرة خلط فاضح بين مفهوم الحادثة ومفهوم التجديد، والصواب أنّهما مفهومان متباينان معنى ودلالة، فالتجديد بعد زمني دياكروني محض، يخضع لتداول الأيام وجريانها،

ولتعاقب اللحظات ودوراتها، مما يجعله مرادفاً لمعنى التطور والمعاصرة، ومن ثم، يكون التجديد هو التعبير عن الذات والهوية بتقنيات وأساليب أكثر حداثة ومعاصرة¹³. حيث "استطاعت الحداثة أن توسع من دائرتها لتشمل حيزاً مكانياً أرحب، ولقد سمح لها هذا التوسع أن تتفاعل مع فضاءات ثقافية أخرى، وأن تجري فيها دماء جديدة وأن تتعدد ألسنتها بعد أن كانت حكرًا على اللسان الأعجمي وحده"¹⁴ والحداثة أنواع وأشكال تختلف باختلاف مجالاتها فمجال العلوم الدقيقة ومجال الأدب مثلاً بعيدان كل البعد عن بعضهما البعض وهذه الحداثة تجسدت في مظاهر متعددة من أبرزها المجال الأدبي الذي شهد في السنوات الأخيرة زحفاً لتيارات جديدة مستتة مختلف الأجناس الأدبية من مناهج وطرق دراسة وغيرها من مظاهر التجديد، فاستطاعت مواكبة كل ما يتعلق بأنواع الخطابات الموجهة للمتلقى في قالب حدائمي ممزوج ببعض أشكال التراث الذي يعدّ أحد رموز الهوية والثقافة العربية، فالنص التراثي العربي فرض وجوده مع مختلف تيارات الحداثة سواء تلك الوافدة من الغرب أو المستحدثة في الوطن العربي.

3. التراث: المفهوم والمصطلح.

"لفظ التراث في اللغة العربية من مادة (و.ر.ث) وتجعله المعاجم القديمة مرادفاً ل(الإرث) و(الورث) و(الميراث)، وهي مصادر تدلّ، عندما تطلق اسماً، على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حسب، وقد ميّز بعض اللغويين القدامى بين الورث والميراث، على أساس أنّهما خاصان بالمال وأنّ الإرث على أساس أنّه خاص بالحسب، ولعلّ لفظ «تراث» هو أقل هذه المصادر استعمالاً وتداولاً عند العرب الذين جمعت منهم اللغة"¹⁵ أي أنّ كلمة تراث تعدّ من بين المصطلحات القليلة الاستعمال في الحياة الطبيعية للفرد العربي على مستويات عديدة، لكنّه في المقابل يمثّل جزءاً مهماً من الموروث الثقافي الشعبي الذي يحض بالاهتمام البالغ من الباحثين، وكذا مختلف فئات المجتمع لأنّه جزء من الانتماء.

يشمل التراث كلّ مظاهر الثقافة الشعبية سواء المادي منه أو اللامادي، أو يمكن القول بأنّه مجموع العادات والتقاليد ما يتعلق منها بالفنون والآداب ومظاهر الحياة الاجتماعية التي يشترك فيها مجموعة من الناس، تعبّر عن هويتهم وثقافتهم وائتمائهم ولا يمكن التفريط في إحدى مكوناته لأنّها تتسم بشيء من القدسية والكمال، وقد عني التراث باهتمام كبير سواء في مجال الدراسة والبحث بمختلف مجالاته أو في مجال تأصيله ودوره في الحياة اليومية للإنسان باعتباره جزءاً مهماً من الوجود، وبالاهتمام والعناية التي حظي بها التراث في عصر الحداثة وما بعدها فإنّ تناول هذا الموضوع على نطاق واسع قد خلق شيئاً من الفضول للباحث، أو المؤرخ، أو حتى المتخصص في علم النفس والأنثروبولوجيا وغيرها من

العلوم التي أخذت الدرس التراثي على محمل الجد، وحاول المتخصصون في هذا المجال من ربط التراث بكل ما هو عصري حديث لأن حوصلة البحث في نهاية المطاف أفرزت عن ضرورة توظيف التراث في شتى المجالات، ومن أبرزها النصوص الأدبية التي ما كانت لتلقى صدى لولا عنصر التراث الفعال في توليف عناصر النص الأدبي الذي يستلهم أفكاره وأحداثه الرئيسية من صلب التراث كمادة خام. "التراث العربي كغيره من التراث أثر وتأثر بحضارات غيره من الأمم والشعوب قديما وحديثا. وزاد في إخصابه تطوّر صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضارة العربية"¹⁶، ولأن الترجمة كانت سبيلا لعبور العديد من الثقافات والحضارات وكل أشكال الثقافة من مختلف جوانبها بما في ذلك مثل عادات وتقاليد شعوب مختلفة، ولعل أبرز ما انتقل مخطوطا التراث العربي في حلته الحديثة، فاكتمل النص الأدبي الشعري منه والنثري قيما جمالية وإضافة معرفية وفنية لهذه النصوص الأدبية .

وأما عن مفهوم التراث الفني عند المشتغلين به من العرب اليوم، فيرون أنه "مجموع الإنتاج الفكري والحضاري والتاريخي الذي ورثته الإنسانية جمعاء، والذي يتمثل في الآثار المكتوبة سواء كانت أثرية أي حجرية، أو كانت على شكل كتب أو ملفات أو ما يشابهها، وهي التي حفظها لنا التاريخ كاملة أو مبتورة."¹⁷ ونقصد هنا بالتراث الفني ذلك التنوع الكبير في الإنتاج الجمعي لأمة أو شعب معيّن، وتختلف أنماطه وتباين ما هو مدوّن ومكتوب وما هو مادي ملموس (المادي واللامادي) باعتباره أهم المآثرات أو الآثار المتوارثة جيلا عن جيل.

4. علاقة النص التراثي بالحدث:

لقد اعتمد الروائي العربي جملة من الوسائل التي أسهمت في بناء نصوصه الأدبية من زوايا عديدة، ولعل أهم الأشكال الأدبية التي مورست عليها تجارب حول تقنيات حديثة أو ما يسمى بالتجريب، ولم يأس من أولى محاولاته تأصيل جذور الرواية العربية الحديث وتمكن من الابتعاد عن التبعية الغربية، وأسس لنفسه رؤية خاصة به فاقت النموذج الغربي شكلا ومضمونا وتجاوزت كل مظاهر التقليد والمحاكاة للآخر، وبروز ظاهرة توظيف التراث في النصوص الروائية هو في حد ذاته من ألوان الحدث، ويسوقنا الحديث عن إحدى تقنيات بناء النصوص الأدبية بأنواعها الشعرية والنثرية إنه "التناص" الذي مهد الطريق وصنع مجدا للنص من أجل الذبوع واكتسابها لطابع جمالي وفي حامل لدلالات متعددة وهو وجود نص في نص آخر أو تضمين بعض الأفكار المقتبسة في النص المنتج، وللتناص أشكال وأنماط متعددة أهمها التناص التراثي، "فآليات اشتغال التناص التراثي قد تطورت وأخذت منزعا مغايرا لهذه

الأشكال مع رواد الحداثة، فأصبحت خلقا ناضجا، إذ أصبحت الأشكال التراثية جزءا ملتصقا ومتمازجا مع النصوص التي تعيد بناءها، وجزءا من لحمتها البنائية والدلالية والفنية¹⁸.

وتختلف أشكال التراث باختلاف مواضع توظيفها وقد كان للفكر العربي اهتمام كبير بموضوع التراث والحداثة وكيف يمكن أن يضع تأصيلا تراثيا للحداثة في ظل موجات التجديد التي عرفها النص الأدبي العربي، وعكف على وضع أسس محددة وفق معايير ملائمة للمرجعيات التراثية ومدى انسجامها وتناغمها مع مشروع الحداثة، "ومن إنجاز التحرر من المرجعية التراثية رفع الجابري شعار المعاصرة المزدوجة والمتقابلة جعل التراث معاصرا لذاته، ومعاصرا لنا في نفس الوقت ولكن ليس بنفس المعنى. المهمة الأولى تسعى إلى إعادة قراءة التراث على نحو يصبح له معنى بالنسبة لزمانه، بينما تتولى المهمة الثانية إعادة ترتيب التراث على نحو يصبح بإمكانه أن يصير له معنى بالنسبة لزماننا، أي قابلا لتحويله إلى فعل حضاري وثقافي في الحاضر"¹⁹ وهنا حاول الجابري ساعيا إلى إيجاد علاقة ربط بين الحداثة والأصالة والتخلص من هذه الإشكالية التي مثل كل من التراث والحداثة قطبيها المتلازمان. فكان بين البينين تارة تراثي وتارة أخرى حدثي إلا أن الواقع يفرض بوجود هذه الثنائية التي تنسجم وفق مناهج الحداثة.

ومن هنا "يمكن النظر إلى الحداثة باعتبارها تيارا فكريا يعتمد العقلانية والذاتية في قراءة النصوص وتأويلها وفق أدوات وآليات معرفية تنتمي إلى ما يعرف بتيار البنيوية وما بعد البنيوية، ويضم هذا التيار مجموعة من المناهج النقدية والسيميولوجية، تتجلى غايتها الأساس في الوظيفة الهيرمينوطيقية التي تقوم على القراءة والتفسير والتأويل وفق رؤية للحياة توظف آليات جديدة مثل مفهوم البنية والنصية والتناص والتفكيك والتأويل والتلقي وغيرها"²⁰ وإذا خصصنا الحديث عن العلاقة التي تربط النص التراثي بالحداثة فإننا بالكاد سنتحدث عن ذلك التفاعل والتكامل بين كل ما هو تراثي تقليدي، وما هو حديثي يحمل سمات التجديد وبوادر الحداثة التي ما فتئت تستدل بالتراث كمكون أساسي يزيد النص ثراء وجمالية خاصة، ولعل أبرز النصوص الأدبية الحديثة التي استعانت بالتراث وضمنته في تشكيلها الفني والجمالي نذكر "الرواية" هذا الجنس الأدبي المستحدث في الثقافة العربية وإن كانت تنقصه بعض الخصائص الفنية والجمالية التي تجعل منه نصا متكاملا يستوفي كل الشروط، لأن المصدر الذي أخذت منه هو الغرب الذي كان سببا في كتابة هذا الفن الأدبي في أرقى صورته، إلا أن الملاحظ فيما بعد هو استفادة الروائيين العرب الذين أدركوا بأن الإبداع يكمن في ثقافتهم ومجموع العادات والتقاليد المتعارف عليها وأن بإمكانهم خلق موجة إبداع خاصة تنطلق من التراث. "وإذا أخذنا بعين الاعتبار موضوع توظيف التراث كأحد المسالك

التجريبية التي سلكها كُتّاب الرواية فإننا لا نغفل تجربة "جمال الغيطاني" التأصيلية، وتفاعل نصوصه الإيجابي مع التراث -لأنّه استوعب التراث بسجلاته كلّها، الكتابة الصوفية، والكتابة التاريخية، والكتابة الرحلية، فهو حين يكتب عن هذا العالم القديم يكتب عنه وكأنّه عالمه الذي يألفه²¹.

والتراث هاهنا إذن يمثّل تقنية من تقنيات النصوص الروائية الحديثة بل ويعدّ الجزء الأبرز الذي يساهم في إنتاج خطاب روائي مستحدث بنكهة تراثية، فمن الخطأ اعتبار التراث عنصراً تقليدياً يفقد الرواية حداثتها ويجعل منها تكراراً لما سبق، بل على العكس تماماً فالمصدر التراثي يعدّ الجوهر والأساس الذي تنبني عليه الرواية بل واستطاعت من خلاله خلق أساليب جديدة في التأليف والحكي وحققت أهدافاً فنيّة وجمالية يطمح الكاتب الروائي بلوغها، إذن فالتراث الوجه الحقيقي للإبداع وهو في حقيقة الوضع يعقد صفقة بالغة الأهمية مع جنس الرواية الأكثر شيوعاً في عالم الأدب، باعتبارها الأكثر تناولاً لحياة الإنسان والناطق الرسمي لحقيقة ما يعيشه الفرد المقهور فالعلاقة التي تجمع النص التراثي بما يسمّى بالحادثة هي علاقة تفاعل وتناسق وتكامل، فتوظيف التراث بكلّ أشكاله في الرواية جعلها تكتسب صفة الحادثة، وأصبح يطلق عليها مؤخرًا "النص التراثي" وهذا راجع لذلك الزخم الهائل من ألوان التراث وأنماطه المتعددة الذي يعبر في فكرة الهوية والانتماء.

وأبرز مثال ثنائية واسيني الأعرج الروائية "نوار اللوز" -"تغريبة صالح بن عامر الزوفري"- ورواية "رمل الماية" -"فاجعة الليلة السابعة بعد الألف"- فمن قرأ رواية "نوار اللوز" يجد ذلك الزخم الهائل من التراث الذي مثّل نقطة تحوّل في الرواية وأحداثها وشخصياتها وأسهم بشكل كبير في إعطاء الرواية أبعاداً فنيّة وجمالية من خلال مزج السيرة الشعبية -السيرة الهلالية- بالفن الروائي، وقد أشار واسيني في روايته "نوار اللوز" إلى ضرورة العودة إلى السيرة الهلالية وقراءتها بإمعان لأنّه من صعب فهم ذلك التداخل في ما بين الأحداث والشخص، وهذه الرواية مقسّمة إلى نصين أولهما: جاء فيه "التأكيد على العلاقة الوشيجة التي تربط بين التاريخ والواقع، والامتداد بين ما وقع في الماضي وبين ما يقع في الحاضر"²².

كما جاء في هذا النص الأوّل أيضاً بأنّ "تغريبة صالح بن عامر الزوفري" مجرد خيال نسجه الكاتب على طريقتة الخاصة مستعينا بالسيرة الهلالية كلون أدبي تجاوز المؤلف من خلالها وعمل على خلق أحداث جديدة، إلّا أنّ الرابط المشترك بين الرواية والسيرة هي طبيعة الموضوع المعالج الذي يتناول الواقع بخذافيه، فكما هو معروف عن السيرة الهلالية التي كانت حافلة بالقضايا المتعلقة بالسلطة والحكم في ذلك الوقت أين نشبت العديد من الحروب والاشتباكات بسبب الأوضاع الاجتماعية والسياسية

المضطربة، كذلك هو الوضع مع المجتمع الجزائري الذي ظلّ في صراع مستمر مع السلطة والحكم، فواسيني ومن خلال روايته هذه استطاع أن يعبر عن ذلك الوضع الذي تتخبط فيه فئة معينة من أفراد المجتمع الجزائري. أمّا النص الثاني كما أورده سعيد سلام "بأبي الكاتب بمناس خارجي يتناول موضوع الحكم، أو علاقة الحاكم بالمحكوم وذلك لتأكيد خطابه الروائي وتدعيمه"²³ وهذا الإسقاط للسيرة الهلالية كلون تراثي معروف على الواقع يحدث نوعاً من الخلق والتجاوز لا التقليد والتكرار، لأنّ الكتابة الروائية إبداع وتجاوز لما هو معروف ومستهلك فنجد الرواية التجريبية تنهل من التراث ما تنهل لتنتج نصوصاً متميزة بطرحها وغنية من حيث دلالتها. "وإذا كان واسيني الأعرج في رواية نوار اللوز قام بتوظيف السيرة الشعبية، فإنّه في رواية "رمل الماية" - "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف" - حاور حكاية ألف ليلة وليلة، ساعياً إلى تجاوزها وإبداع نص جديد²⁴ من خلال مزج الطابع الحداثي والتجربي للرواية مع التراث الذي يبدو جلياً من خلال العنوان الذي يحاكي الحكايات الشعبية المشهورة "ألف ليلة وليلة" فالنص الروائي عند واسيني هو كتلة إبداع ومهارة توليف ما هو تقليدي وما هو حديث ولعلّ الرقم سبعة يكتسب خصوصية فريدة في أدبنا العربي وحتى في العالم الميتافيزيقي والأسطوري فهو يحمل دلالات مختلفة، عمد الكاتب لتوظيفها من أجل إثراء نصه الذي انطلق فيه من التراث بهدف تجاوزه وخلق أشكال تعبير جديدة تنحو نحو الإبداع وتجاوز المؤلف، كما أنّه حاور حكاية ألف ليلة وليلة من خلال رواية "نساء كازانوف" حين جعلها جملة من القصص المختلفة التي ترويه النساء على لوط الشخصية الرئيسية للرواية. كما أنّه دعمها بأشكال تعبيرية مختلفة من التراث، إذ كان للمثل الشعبي حضوراً ملفتاً تعدى العشرين مرة بعملية إحصائية، خاصة وأنّه صورة من صور الأدب الشعبي، فهو "الكلام الفني الجميل الناتج عن الشعب من خلال معارفه وثقافته القولية والفعالية"²⁵، لنجد أيضاً القصائد قد احتلت مكاناً في الرواية كنصوص تراثية محاورة للنص الروائي المعاصر، إذ أنّ الشعر من أهم سبل التعبير ومن أقدمها، فاعتمده العرب منذ القدم كأسلوب للتعبير عن حوائجهم، كما لا يمكن إغفال الأغاني التراثية "فالغن الأصيل للغناء هو الشعر، والغناء نوع من الشعر فهو طريقة لأداء الشعر بالتنغيم والتلحين"²⁶، لذا كان للشعر الشعبي (الأغاني) أيضاً حضوره كنصوص تراثية محاورة للرواية، وهنا نستشف أهمية النص التراثي الذي يسعى لمسيرة كل الأشكال الأدبية الحديثة والوافدة من الغرب أو المستوحاة من صميم التراث العربي الثري.

خاتمة :

شكّل النص التراثي إضافة مهمة في حقل الأدب بعامة ولأمس جوهر الحداثة من خلال عقده لشراكة دلالية وجمالية في الآن ذاته، وحقق أهدافا مشروعة مفادها:

- تجاوز كل ما هو مألوف، إذ خلق ذلك التمازج بين التراث والحداثة أشكالا إبداعية جديدة انطلاقا من توظيف هذا التراث بطرق متعددة تعانق أفق التجاوز، وتحلق بالنص في سابع سماء للابتكار والابتداع.

- وقد حظي التراث باهتمام الفكر العربي الحديث نظرا لقدسيته وارتباطه المباشر بواقع الإنسان العربي وما يعيشه من أحداث ووقائع.

- وسيظل النص التراثي مفتوحا للتأويل مدججا بالقضايا المعاصرة ذات الأبعاد والحدود المختلفة، ورأينا كيف استطاع الكاتب المعاصر توليف هذه الثنائية التي لا تتقاطع من حيث المفهوم أو حتى طبيعة المواضيع التي تتناولها الحداثة بمناهجها الفكرية المختلفة والتراث العربي، ذلك الإرث الذي لا يستغن عنه أيّا كان، ومنه نجد ذلك التجاوب والتفاعل للنص التراثي مع ما يستجد من مناهج الحداثة مواكبا كلّ مظاهر التجديد، بل مثل إضافة حقيقية للأجناس الأدبية المتنوعة أبرزها الرواية التي أخذت من التراث وتناسبت معه في العديد من المناسبات لتخلق لنا نصا إبداعيا حافلا بالتجاوز لكلّ نص متعارف عليه أو متناول سابقا وذلك في قلب فني وجمالي.

هوامش:

¹ -ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، دت، ط1، القاهرة، مصر، مادة (ح د ث) ص796.

² -نفسه، ص: 798

³ -نفسه: ص: 296

⁴ -شوقي ضيف وآخرون، المعجم الوسيط، 2004م، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، مادة (ح د ث)، ص10.

⁵ -le robert quotidien.dictionnaires le rebert.paris.1996.modernité. p288-

⁶ -larousse illustré.planches visuelles.chronologie universelle.21 rue du

p661،montparnasse75283 paris CEDEX 06 vuef 2003

- ⁷-ديفيد هارفي، حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي، 2005م، ط1، تر محمد شيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص418.
- ⁸-أدونيس، علي أحمد سعيد، فاتحة لنهاية القرن، 1998م، ط1، دار العودة، بيروت، ص321.
- ⁹-فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، 2003م، دط، دار الفكر دمشق، ص313.
- ¹⁰-يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، 2008م، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ص335.
- ¹¹-محمد جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، 2008م، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ص143.
- ¹²-مجموعة مؤلفين: ما بعد الحداثة - دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب- 2018م، ط1، تر: حارث محمد حسن، باسم علي خريسان، ابن النلم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت لبنان، ص9.
- ¹³-حميد سمير: خطاب الحداثة -قراءة نقدية- 2009م، ط1، روافد للنشر، الكويت، ص13.
- ¹⁴-المرجع نفسه، ص13.
- ¹⁵-محمد عابد الجابري: التراث والحداثة -دراسات ومناقشات- 1991م، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص22/21.
- ¹⁶-سعيد سلام: التناسل التراثي -الرواية الجزائرية أمودجا- 2010م، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص15.
- ¹⁷-المرجع نفسه، ص16.
- ¹⁸-عصام حفظ الله واصل: التناسل التراثي في الشعر العربي المعاصر -أحمد العواضي أمودجا- 2011م، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ص27.
- ¹⁹-محمد عابد الجابري: التراث والحداثة في المشروع الفكري، ص74.
- ²⁰-حميد سمير: خطاب الحداثة، ص65.
- ²¹-صبرينة بوسحابة: الرواية المغاربية والتراث -دراسة العلاقات والتفاعلات النصية- "رسالة دكتوراه" 2015/2016م، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، ص7/6.
- ²²-سعيد سلام: التناسل التراثي، ص409.
- ²³-المرجع نفسه، ص410.
- ²⁴-صبرينة بوسحابة: الرواية المغاربية والتراث -دراسة العلاقات والتفاعلات النصية، ص91.
- ²⁵-محمد بوزاوي: معجم مصطلحات الأدب، 2009م، دط، الدار الوطنية، الجزائر، ص18.
- ²⁶-بشير خلف، الفنون لغة الوجدان، 2009م، دط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ص70.